مع الفجر جاء.. مع الفجر راح(*)

(*) نشرت في مجلة (المشهد) العدد ٨/٩- شتاء وربيع ٢٠٠٢

الشخصيات

- العجوز
- الزوجة
- الطفل
- الرجل

[مطبخ، في بيت متوسط الحال، اثاث متواضع، مدفـــأة مشـــتعلة، ســـاعة جدارية تشير إلى السابعة مساء، منضدة فوقها كيس ورقي ممتلىء، مائدة حولها بضعة كراس فوقها اوان مع بقايا طعام... بان ثمة من تناول العشاء قبل قليل.

مستلزمات اخرى ضرورية، طباخ ثلاجة، رفوف فوقها قـــدور، صحـــون، اقداح. الخ...

يواجه النظارة، في عمق المسرح، شباك عريض، مفتوح الستائر، بجانبـــه باب مفتوح يشاهد من خلاله الباب الخارجي الرئيس، بين البابين ممشى بعـــرض مترين، بجانب الباب الخارجي، باب غرفة النوم، يشكل البابان زاوية قائمة، تمـــلأ ضلفة الباب الخارجي المفتوحة، امرأة، ترتدي "روبا" طويلا وهي تحادث شـــخصا يقف خارج الباب، ثمة ظلام شفيف في الخارج، يجعل التعرف علـــى الشـــخص، بوضوح امرا غير يسير.

على اليسار باب موارب يؤدي إلى داخل البيت، لا يلبث ان يفتـــح بـــهدوء تظهر سيدة عجوز فوق عربة مقعدين. تغطـــي نصفـــها الأســـفل بدثـــار ثقيـــل (بطانية).. تتوقف في منتصف الباب، واذ ترى الامرأة والرجل، تتراجع قليلا ثـــم تتقدم بحذر، حريصة الا تدعهما يشعران بوجودها، ترخـــي الســـمع لحديثـــهما... وهي تمور بغضب مكبوت، من بين طيات ملابسها، تخرج علبة دواء، تأخذ منـــها قرصاً، تضعه تحت لسانها..]

* * *

الرجل: (صوته حسب) وقتما تشاءين، ولو بعد منتصف الليل..

العجوز: (من بين اسنانها) بـــ بــ بعد منتصف الليل؟ اه.. ايـــها الوغــد..
(تتقدم بحذر، لتسمع بشكل افضل وانتباه اكثر)

الامرأة: (صوتها حسب) ان شاء الله... ان شاء الله.

العجوز: ان شاء الله؟ اه.. يا سافلة.. هذه مشئية الشيطان! انه.. انه لا يســـاوي قلامة ظفر من اظفار زوجك العشرين..

الرجل: (بصوت عال) في امان الله، خالة ام رشيد.

العجوز: (من بين اسنانها) إلى جهنم.. انت وخالتك الكلبة!

الرجل: (بصوت خافت) مع.. السلامة.. سحر..

سحر: مع السلامة، لطيف، بلّغ الوالدة تحياتي.. وشكرا.. شكرا جزيلا.. (يختفــي الرجل وهو يلوّح لها، تظل واقفة هنيهة تلوّح له بيدها)

العجوز: (تقتحم المطبخ بعربتها، منفعلة، تصدم المنضدة متعمدة، يسقط الكيـــس الورقي.. يتناثر ما فيه من تفاحات حُمُر في ارجاء المطبخ) الــف مـرة اقول لها لا تقبلي شيئاً من هذا النذل.. (تسحق بعضــها تحــت عجــلات عربتها بعصبية.. صوت سيارة وهي تبتعد. سحر، تسدّ الباب الخــارجي، تغلقه. تدلف المطبخ وهي سيدة جميلة، شــابة، فــي حــدود الخامســة والعشرين..)

سحر: (تنزع الروب تعلقه، تفاجأ بالتفاحات على الارض، تطلق اهة عفويـــة) آه (ثم) لاعليك أمي لا عليك. سألمّها الآن (تعيدها إلى الكيس تقضم تفاحــة) الذنب ذنبي. وضعت الكيس على الحافة (تنتبه ان العجوز ترنــو اليــها. تقدّم لها واحدة) أما تريدين تفاحة.. انها هشة.. وحلوة (العجوز ترمقــها بازدراء. سحر تلقي المسحوقات في سلة المهملات. تضع الاوانــي فــي

المغسلة، تفتح عليها الماء بعهد هنيهة تتصاعد الابخرة، تشرع بغسـلها باستمتاع وتلذذ) جزاك الله خيرا يا لطيف. جعلت الـدفء يسـري فـي عروقنا ثانية..

العجوز: (بغلظة) أين الولد؟

سحر: (ببرود) كالعادة.. امام التلفزيون.. يشاهد "الكرتون"

العجوز: ظننت.. انه اخذه معه..

سحر: لو تقتصدين.. في ظنونك.

العجوز: اليس ذلك ما يفعله، بعد كل زيارة.

سحر: ليس حين يتأخر.. هذه المرة تأخر..

العجوز: ولماذا تأخر؟ (سحر تواصل عملها) ما الذي اخره حتى الان؟

سحر: السخان طبعا. لم يكن اصلاحه هينا. تطلب الكثير من الجهد والوقت.

العجوز: (تنظر إلى الساعة الجدارية بنبرة ذات مغزى) اكـثر مـن مـن ثـلاث ساعات!!

سحر: انتظر حتى يطمئن على جريان المـاء الحـار. فـي الانـابيب المسـدودة المعطلة.

العجوز: والامس؟.. والامس الاول.. و..

سحر: (بنبرة طبيعية) الصدأ اكل الخزان، وهرأ معظم الانابيب ولم يكن بالامكـان، تبديلها وتنظيفها في يوم او يومين..

العجوز: ولا في اسبوع.. او اسبوعين.. على ما ارى..

سحر: ليس عدلاً ان نمعن في استغلاله. انا طلبت منه ان يأتينا في اوقات فراغـه حسب.

العجوز: (بنبرة خاصة) و.. دائما، بعد مغيب الشمس.. او في الليل.

سحر وهل يغلق باب رزقه، في النهار؟ في زحمة اعماله والتزاماته مع الناس..

العجوز (بسخرية) لا.لا. بكل تأكيد.. لا.

سحر: (ببرود) يختار الوقت الذي يناسبه.

العجوز: (بغضب متصاعد) وماذا عن الوقت الذي يناسبنا.. نحن؟

سحر: نحن؟ نحن كل الاوقات بالنسبة الينا سواء (تواصل عملها بلا اهتمام)

العجوز: (بحدة) لا.. ليست سواء.

سحر: بل سواء.. قد باتت سواء.. بعدما ارغمتني على ترك وظيفتي..

العجوز: ماذا تقصدين بـــ..بـــ، ارغمتني..

سحر: الم تفعلي؟ الم تهدديني بطردي انا وطفلي الرضيع من البيت..

العجوز:(بغلظة وقسوة) البيت... بيتي.

سحر: والطفل حفيدك، وانا أم حفيدك وزوجة ابنك.. وانت تعرفين ان لا مأوى لي يأويني.. ولا أحد لي يحميني.. بعدما قتلت قذيفة مجنونة كل أهلي.

العجوز: وهل اترك حفيدي وزوجة ابني الشابة، تسرح وتمرح، على هواها في غابة من الرجال الذئاب، في وظيفة تمتص كل وقتها وقواها ولا تدر علينا ما يسدّ حتى تكاليفها..

سحر: اه.. لا جدوى.. لا جدوى.. من أي شيء.. (تنصرف إلى عملها)

العجوز: هكذا انت.. كلما صفعتك الحقيقة تهربت..

سحر: يا عمتي، يا امي.. العزيزة. قتلنا سنوات في هذا الحديث اللا مجدي وها قد نفذت اوامرك.. اطعتك واطيعك.. حتى في اخطائك.. تركت عملي، النسمة الوحيدة من التغيير التي كانت تهبّ علي.. وصرت احيا رتابة ايامي وتكرارها الممل حتى النخاع.. فماذا تريدين مني بعد..؟

العجوز: (بقسوة) احترمي البيت الذي يأويك ويطعمك.

سحر (مصعوقة) ها؟

العجوز: لا تدخلي اليه كل من هب ودب. بتهكه وقتما يشاء والى حين ما يشاء.

سحر: كل من هب ودب. من؟ من تقصدين...

العجوز (مستمرة) للبيوت حرماتها ومحارمها. ولا ينبغي ان تداس على هذا النحو الفظ.

سحر: ولكن.. ولكن.. من؟ من تقصدين؟ لطيف؟ (العجوز. تدير عربتها. لا تجيب. تلاحقها) اجيبي.. الطيفا تقصدين.

العجوز: (تصرخ بحدة) اجل.. لطيف.. لطيف..

سحر: (غير مصدقة) و.. و.. لكن.. لطيف. ليس بغريب.. انه.. انه ابن خالتي.

العجوز: (بنبرة خاصة) وخطيبك السابق؟

سحر: لا.. لم يكن يوما خطيبي.

العجوز: الم يخطبك...

سحر: خطبني.. خطبني.. قبل ابنك.. و.. رفضت.. رفضت وانتهى الامر.

العجوز: لا. لم ينته. الموقف.. تغير.

سحر: أي موقف؟.. ولماذا تغير؟ او.. او.. يمكن ان يتغير.

العجوز: غياب الزوج عن البيت، يغير اشياء كثيرة. ولهذا السبب صار يكثر من زياراته ويطيل في مكوثه.

سحر: و.. ولكن هذا افتراء.. انت تفترين. يا..

العجوز: احذري.. يا..

سحر: انت تعرفين انه يأتي من اجل السخان، الذي غربله الصدأ وتهرأ.. تماما.. ولم يعد ينفع شينا وبات من المستحيل قضاء هذا الشتاء الصقيعي. بدون ماء دافي.. في البيت.

العجوز اه.. ما اكثر اعذارك وحججك، وما اشدها حضورا!
سحر: وأنت.. أنت نفسك أشدّ مخلوقات الكون تذمرا وشكوى من البرد.. تصبّين لعناتك على الارض والسماء كلما لامست انامك قطرة ماء..
العجوز: ولم يكن ثمة، غير لطيف.. تستنجدين به.. لكي..
سحر: لطيف أو سواه (ثم) أي ابليس يمكن ان يمنحنا الدفء ولا يطالبنا بالالاف. ثم.. ما الضـ من لطيف.. انه الاقرب الينا من الجميع..
العجوز: بل هو الابعد من الجميع.. ورشيد نفسه كان لا يرتاح اليه..
سحر: رشيد صديقه.. بمثابة اخيه، من خلاله تعرف علي.. ولولاه لما عرفني ولا تزوجني.. انها انت التي لا ترتاحين اليه..
العجوز: انا لا اطيق حتى رؤيته..
سحر: لماذا.. بم اساء اليك؟
العجوز: (بجفاء) لي اسبابي.
سحر: أية أسباب، انها اوهام. مجرد اوهام.. لا ادري أي شيطان حشا بها رأسك.. لكي تقليني فوق نار شكوكك، وتعذبيني..
العجوز: اما لي عينان تريان.. واذنان تسمعان..؟
سحر: تريان ماذا؟ تسمعان ماذا؟ انها نفسك.. المثقلة بالشكوك والريب التي ترى وتسمع. أو بالاحرى.. تلفق وتختلق.. (تنفعل كثيرا فيسقط من يدها، قدح، متميز بالوانه وحجمه، يتهشم) آه،
العجوز: (تصرخ) قدح رشيد (تسوق عربتها نحوه، تلتقط، بصعوبة، قطعة، ترنو اليها بأسى) انه.. انه.. القدح الذي كان رشيد يحبه.
سحر: (دون ان تلتفت نحوها) انت.. التي تحبينه..
العجوز:لم نختلف يوما.. حول شيء.

سحر: ذلك ما تعتقدين..

العجوز: (تتناول قطعة اخرى، تضعها بجانب الأولى) هل أخبرك خلاف ذلك؟

سحر: (باحساس بالضيق) آسفة يا عمتي، لم أتعمد.. سقط عفوا.

العجوز: (تتأمل ما بيديها)، زوجي اهدانيه.. منذ اكثر من خمسين عاما..

سحر: (كمن تكلم نفسها) اذن.. وجب التخلص منه..

العجوز: (تتناول قطعة اخرى) سوف يفتقده كثيرا اذ يعـود.. ويحـزن... ينفطـر قلبي.. حين أرى ابنى الوحيد.. يتألم ويحزن.

سحر: سآتيكما.. باحسن منه..

العجوز: (تضع القطع إلى جانب بعضها البعض. فتخفق) لا. لا سبيل المكسـور.. لا يرجع إلى حاله ابدا..

سحر: (بانزعاج شديد) والنتيجة يا عمتي؟ لقد تهشم.. وانتـهى الامـر.. مـاذا بوسعي ان افعل..؟

العجوز: لا شيء.. لا شيء.. لقد فات الاوان.

سحر: (بضحجر شديد)اوووه...

العجوز: ينبغي الا تزعلي من الحق..

سحر: اذا كان ما تسمينه بالحق.. حقا.. فعلا..

العجوز: ليس لائقا أن يشرب، من قدحه.. احد.. غيره..

سحر: إلى م ترمين (ثم) اه.. يا الهي.. ماذا جرى لك.. ماذا دهاك هـذه الليلـة.. حتى تقطعيني.. بسكاكين كلماتك.. بهذه القسوة.

العجوز: (تصرخ) لقد فاض بي (تجول بعربتها في ارجاء المطبخ بأنفعال) لم اعـد اطيق زياراته المتكررة (تسقط كيس التفاح ثانية) لم اعد اطيـق هدايـاه القذرة (تسحق التفاحات).. ولا احتفاءك واهتمامك به.. كلما جاء.

سحر اهتمامي واحتفائي!! اه.. لا تدعي غضبك اللا مشروع يضع على لسانك كلمات.. تجرحني.. تطعنني في اقدس مشاعري..

العجوز: ما معنى وقوفك على خدمته ساعات وساعات... هو يجردك بنظراته الخبيثة. وانت تقدمين له الطعام والشراب، كما لو كنت جاريته او.. او..

سحر احذري.. يا عمة.. احذري ان يشتط بك السوء الذي تمور به نفسك إلى هذا المدى.. والا ندمت.. ندمت طوال حياتك..

العجوز: انت تخرجينني عن طوري.. تخرجين اشد الناس حلما وصبرا عن طوره..

سحر: كل هذا بسبب عشاء بسيط قدمته له! الرجل يعمل منذ ساعات.. هل اتركه يخرج دون لقمة يلقيها في جوفه.. وقد نال منه الجوع والتعب؟

العجوز: (بحدة) القي في جوفه. السم.. ذلك ما يليق به (يزداد انفعالها)

سحر: سافعل.. سأفعل حين يأتي. اهدئي فقط اهدئي.

العجوز: يأتي؟ تالله لن تطأ قدماه عتبة داري.

سحر حسنا.. حسنا.. لن يأتي.. سأطلب منه الا..

العجوز: أقتله قسما بالواحد الأحد.. أقتله. (تجول بعربتها في هيجان).

سحر: (مشفقة عليها) حسنا.. حسنا... افعلي به.. ما تشائين.. فقط اهدئي اهدئي قليلا.. الانفعال يضر بقلبك (تبحث في ادراج الدولاب.

العجوز: انت تدفعينني إلى الانفعال دفعا..

سحر: انا.. سامحك الله (تواصل البحث) أين علبة الدواء؟ يا الهي؟

العجوز: تعرفين ان قلبي المريض لا يتحمل الانفعال..

سحر هل معك علبة دوائك (العجوز لا تجيب) اين هي.؟ لقد وضعتها بنفسي في احد الادراج.. (تعثر عليها) اها.. حمدا لله.. (تسرع بها اليها) خذي.. خذي قرصا.. ضعيه تحت لسانك..

العجوز: (تدفع يدها) لا.. لا اريد...

سحر: ولكنك تقضين على نفسك.. بعنادك هذا..

العجوز: انت التي تقضين علي..

سحر: (وهي تعيد العلبة إلى مكانها) انا؟.

العجوز: ما تفتأين تزرعين روحي باليأس من عودة ابني.. لانك تعرفين ليس ثمة ما يقضي على الام، مثل الغياب الابدي، لابنها الوحيد..

سحر: (بألم دفين) و.. هل.. عاد؟

العجوز: (بحدة) سيعود.

سحر اننا ندخل السنة الخامسة.

العجوز: حتى ولو دخلنا السنة العاشرة.. فأنه عائد.. عائد..

سحر: (ترفع يدها نحو السماء) ليسمع الرب الدعاء.. ويعيده الينا..

العجوز: الرب يسمع دعاء المؤمن بدعائه.. انت غير مؤمنة. اصلا. بعودته.

سحر: انا اصلي ليل نهار من اجل عودته.. طيلة هذه السنوات الطوال.. الشداد العجاف. التي اذوق فيها المر والهوان.. واعيش حتى اظفاري هذه الحياة الذليلة..

العجوز: اخ اخ. من كلامك الذي يقطر ياسا.. ولكن لا. لا. لن تؤثري على قيد شعرة. لن تحمليني بأسك القاتل هذا.. ان اشك لحظة واحدة بأيماني المتعاظم.. بانه عائد الي.. عائد.. لا محالة.

سحر: يا عمتي، كل الذين اخذوهم عادوا. الاسرى عادوا.. المعوقــون عــادوا.. الجرحى عادوا. الا هو.. اخ.. الا هو.

العجوز: انه هو.. ذلك الوغد.. الذي سممك باكذوبة موته..

سحر: بل هي الحرب يا أمي الحرب الوحشية الطاحنة الضروس. التــي لا تبقــى ولا تذر. تطحن الابناء والازواج والاباء. وتكوي بنارها الجهنمية قلــوب المفجوعات والمفجوعين من الاحياء.. الاحياء الاموات.. آه.. ما أقســى ان نكون من الاحياء الاموات..

العجوز: (بعناد الاطفال) لا.. ولدي حي.. ولدي عائد.. يمنح روحــي حيويتــها.. يعيد إلى البيت حياته.. يعطي قلبي عافيته.. عائد على الرغــم منــك.. ومنه.

سحر: (ترفع يديها إلى السماء) يا رب.. أعنا. يا رب كن في عوننــا. (تنــادي) علي.. علي تعال يا ولدي كل شيئا قبل ان تنام (تنشف يديها تخرج)

العجوز: اهربي كلما جاء ذكر رجلك كالنعامة التي تدفن رأســها كلمــا لاح لــها الصياد.. لم أر امرأة تضيق بالحديث، حتى الحديث عن زوجها كما تفعــل هذه الحقيرة.. بسببه، كل ذلك بسبب هذا الوغد.. لابد ان احسم المســألة برمتها، الليلة قبل الغد.. (تبحث في ارجاء المطبخ) لن ادع هــذا الكلــب يلغ في شرف ابني وشرفي إلى الابد لقد وعدها بالعودة بعــد منتصــف الليل اه بعد منتصف الليل.. حين يحيل النوم الجميــع جثثــاً، الا هــو.. وهي.. ولكن لا.. لن انام.. لن انام.. سأجعلها اخــر ليلــة فــي عمــرك القذر.. اذا كانت رجلاي عاجزتين.. فيداي ســالمتان.. وقويتــان.. أيــن الفأس.. ماذا حل بها.. انها هنا.. في المطبخ في مكان ما. كانت هنــا.. على الدوام.. ماذا حل بها (تتوقف عن البحث.. اذ تدخل سحر)

سحر: (في قلق واضطراب) عمتي الولد.. ليس في البيت.. أين ذهب؟

العجوز: (من بين اسنانها) معه.. مع لطيف.. قلت لك ولم تصدقي..

سحر: مستحيل. ليس من دون اذني

العجوز: هو على يقين انك لا تعترضين (بسخرية) اخذه معه في.. نزهة!!

سحر: ليس في مثل هذا الوقت.

العجوز: (بنبرة خاصة) يختار الوقت الذي يناسبه! والليل انسب الاوقات.

سحر: لا.. لا يمْكن.. لا يمكن..

العجوز: لا تقلقي سيعيده اليك.. بعدما يغسل دماغه...

سحر: يغسل.. دماغه..

العجوز: او بالاحرى يلوّثه.. يطمس فيه كل اثر وحتى ذكر او ذكرى لابيه ليحل نفسه محله.

سحر: ارجوك امي.. ارجوك.. كفي منشار لسانك عني.. اما يكفيني ما انا فيه؟ (تتناول روبها، ترتديه)

العجوز: (مستمرة) ولكن هيهات، شتّان ما بين الثرى والثريا. علي ولد اصيل ابن رجل اصيل.. لن يبدّل حذاء ابيه بألفٍ من امثال لطيف..

سحر: (تغطي رأسها) نار القلق على الولد.. تحرقني.. وانت.. اه.. (تحكم روبها حول جسمها.. وشدة رأسها)

العجوز: إلى.. اين؟

سحر: ابحث عن الولد.. هل اتركه يضيع في هذا الليل.. (تتوجه نحو الباب.)

العجوز: (من بين اسنانها) ان من يضيع، ان من ينبغي ان يضيع، هذه الليلة.. هو.. الوغد.. أو.. أنت.. أو.. كلاكما.. ان اقتضى الامر..

وسترين (صوت ضربات كف متتالية على الباب. تقفز سحر نحو الباب. تفتحه. يمرق علي.. وهو طفل دون الخامسة. يؤدي حركات من يسوق سيارة وهمية)

علي: (يتمايل في سيرد، يسرع، يبطيء) فـــن ن ن ن..فـــن ن ن طـــوووط.. طوووط.. (ثم فجأة اذ يرى التفاح في ارجاء المطبخ. ياه!! مـــن أيـــن لنا.. كل هذه التفاحات (يلتقط واحدة. يقضمها) لذيذة.. من عمو لطيـــف ها؟ من عمو لطيف؟

سحر: (ترد الباب، تسرع نحوه) تعال يا ولد.. أين كنت حتى الآن؟

العجوز: مع لطيف.. طبعا.

علي: اجل (يمضغ) مع عمو لطيف في السيارة

العجوز: الم اقل لك؟ هل صدقت الآن؟سحر: (بحدة) متى خرجت لم ارك..

علي: كنت مختبئا.. داخل السيارة..

العجوز: مختبئا ام هو الذي اخذك.. قل الحقيقة يا ولد ولا تكذب.. هو الذي اخـذك معه؟

علي: لا.. انا دخلت السيارة واختبأت خلق مقعده. حيـــن كـــان يـــأكل.. دون ان يدري.. وحين علم بوجودي، ارتبك واضطرب وكاد يصطدم..

سحر: يا ساتر.. كنت ستودي بنفسك وبه. بتصرفك الارعـــن.. تعـــال.. تعـــال.. اغسل يديك (تغسل له يديه ووجهه) إلى أين يقودك ولعك المجنون هـذا بالسيارات؟

العجوز: إلى التهلكة! (سحر ترمقها بامتعاض) هو الذي زرع فيه هذا الجنـــون.. يغذيه ويشجعه عليه كل يوم. بلا ذمة ولا ضمير.. ولا أي خوف علـــى الطفل.

علي: احبها.. يا ماما.. انا احب السيارة. قولي لبابا.. حين يعود.. "اشتر سـيارة لعلاّوي

سحر: هيا.. هيا.. كل شيئا. لكي تنام.. لقد تأخر الوقت.

علي: شبعان ماما عمي لطيف.. اشترى لي لفّة..

العجوز: (بحدة) لطيف ليس بعمك. ولا تقبل منه شيئا، أي شيء

علي: (بدهشة) ها؟ حـ.. حـ.. حسنا يا جدتي.. (يقضم التفاحة)

العجوز: والق هذه التفاحة من يدك.

علي: (يتوقف عن المضغ) ها...

العجوز ارمها.. يا ولد..ارمها في سلة الاوساخ..

علي: (يرميها)لـ.. لـ.. لماذا.. جـ.. جـ.. جدتي (تدمع عيناه ويختنق صوته)

سحر: ليس هكذا يا عمة.. ما ذنب الطفل على اية حال.. تعال.. ولـدي تعـال.. (تحضنه.. وتخرج به.. نحو غرفة النوم)

العجوز: لقد شوهه النذل شوه الطفل البريء بخدعه واسـاليبه القـذرة.. هـذه حصيلة زياراته المتكررة.. هي.. هي الحقيرة.. من تتحمـل المسـؤولية كلها.. هي التي تدفعه.. اليه.. انها تخطط معه. بخبث.. لقلع الاب كليـا من ذاكرة الطفل.. ولكن.. لا.. لا.. سأقلعه هو اقلعه. ليس مـن البيـت حسب. وانما من الوجود كله. (تبحث في ارجاء المطبخ) آن الأوان كـي اطهّر بيتي من هذه القذارة.. قبل ان تستشري اكثر.. ولكـن أيـن تلـك الفأس؟ آها. واخيرا.. (من خلف الطباخ)، تخرج فأسا بحجـم مناسـب، تخفيها بسرعة تحت البطانية اذ تشعر بقدوم سحر).

سحر: هل اعد.. لك العشاء؟

العجوز: (بجفاء) لا.

سحر اتنودين ان اقودك إلى غرفتك.. (تومىء ايجابا تدفع عربتها نحـــو البـــاب الايسر. تسقط رأسها على كتفها فـــي اعيـــاء) نمـــت.. بـــهذه الســـرعة؟ (تخرجها، تعود بعد هنيهة تصب لنفسها بعض الطعـــام.. تـــهم ان تـــأكل. تتوقف.. تنهض، تعيد الاكل إلى الثلاجة. تطفيء اضواء المطبـــخ وضـــوء الممر.. كذلك. تدخل غرفتها.. في الجانب الاخـــر. يـــهيمن الظـــلام علـــى المسرح، فترة. ثم يسمع صوت عجلات عربة العجوز)

العجوز: (تفتح ضوء المطبخ. ثم تطفئه بسرعة) الافضل ان اتربص له في الظـلام ولا أدعه.. يراني.. (ثم) و.. ولكن.. كيف سأراه.. (تفتح ضوءا خافتـــا) في الممر) هكذا افضل، اراه بوضوح اذ يدخل ولا يراني، اول ما يخطـــو نحو غرفتها.. وقبل ان تفتح له الباب، او يطرقه.. انـــهال علـــى رأســـه بالفأس، اهشمها.. إلى جهنم وبئس المصير ولن يلومني أحد. اذا اكـــوم جثته القذرة امام غرفة نومها.. بل ساكون موضع ثناء واعتزاز الكـــل.. انا العجوز المقعدة الضعيفة.. منحني الله القوة والقدرة والعزم والارادة.. ان اطهر بيتي واحمي شرفي من ان يلحق به العار.. والدنـــس.. (تغلـــق الستارة ثم تفتحها) لا. لاترك كل شيء على حاله.. كمـــا تركتـــه هـــي.. (تبحث عن مكان تختبيء فيه) ذلك حسن، تحسبني نائمة.. غارقـــة فـــي النوم.. لا.. ساذر الملح في عيوني ولن انام.. (تسد باب المطبخ. الا شقا ضيقاً) هنا.. لا ينتبه لوجودي. (تلقي نظرة على الباب الرئيس، مغلـــق؟ اذن كيف سيدخل؟ يطرق الباب؟ يدق الجـــرس؟ ام أم زودتـــه بمفتـــاح، يفتحه ويدخل.. كصـــاحب الـــدار.. اه.. لـــن اتحمـــل صـــوت خرخشـــة الباب،وهو يولج المفتاح سأفقد اعصابي ويصيبني الجنون واهجم علـــى الباب. قبل ان يفتحه.. واذ ذاك يكون بوسعه الفـــرار.. وينجـــو.. ممـــا

اعددت له.. سأفتحه.. واتركه مواربا.. (تتوجه نحو الباب. تخــرج مــن جيبها المفتاح تتلمس الباب تصعق) يا الهي.. انه.. انه مفتــوح.. غــير مغلق.. تركته له مفتوحاً.. كي يتسلل إلى فراشها كالافعى.. اه يا فــاجرة لقد سدته لكي تخدعني.. اه.. لقد صدقت كــل ظنونــي، وتحققــت كــل شكوكي.. بل بل هي دون افعالك الدنيئة.. (تفتح الباب بسهولة) اذن هــذه هي الاشارة التي اتفقا عليها.. ان يكون الباب مواربــا حســب.. بدفعــة يسيرة منه، يمرق.. ولكن لا.. انا واقفة لك بالمرصاد يجب ان اعيده إلــى وضعه السابق.. كما كان بالضبط والا.. شعر ان تغييرا قد حدث.. فيعــود ادراجه. في الوقت الذي اريده هنا.. افترسه باسناني. (تعيد البــاب إلــى وضعه السابق، ترجع. تختبيء خلف المطبخ..) اه.. لقد شــرع نبضــي يتسارع، ما هذه الحرارة التي تلفح وجهي (تتلمس وجهها) هل اصــابتني الحمى فجأة؟ و.. قلبي.. ان دفاته تتعالى.. لا.. يا قلبي لا تضعف.. كــن قويا.. ففي انتظارك.. امر جلل. بل اجل الامور واشرفها.. اه.. اه.. كــن امينا.. كعهدي بك.. لا تدق على هذا النحو.. فينتبه الخونة إلي.. (تتناول قرصا آخر من علبة الدواء) أعرف ان الاكثار منه.. مــؤذ.. ولكــن مــا العمل (تضعه تحت لسانها) اه.. ما بال يدي ترتعشان.. كيف اقوى علــى حمل الفأس (تمسك الفأس بكلتا يديها، تضرب بها الهواء، بضع مــرات) هكذا بل اقوى.. اقوى واعنف و.. اقسى، ضربة واحدة لا اخت لــها ولا شقيقة.... ضربة واحدة.. ويتطهر البيت من الرجس الذي يعشعش فيــه او عدة ضربات متتالية.. لا تتيح له فرصة للــهرب.. او.. الانقضــاض علي.. بل.. بل.. لا تتيح له فرصة للتنفــس حتــى.. تهشــم جمجمتــه، هكذا.. (ضربات متتالية كأنها تضرب شخصا ماثلا امامها (طرق خفيــف

على الباب من الخارج) اه جاء.. الوغد جاء (تسد باب المطبخ، الا الشق الضيق) ادفع الباب ايها الوغد انه مفتوح.. عشيقتك تركته لك مفتوحا، كما اتفقتما.. (يفتح الباب برفق شديد يدخل شخص بهدوء وحذر. يسدّ الباب خلفه. يتوجه مباشرة، نحو غرفة سحر.. من بين اسنانها) ما هذا لقد غير ملابسه.. جاء متنكرا..

(الشخص يعالج فتح باب غرفة سحر. بسرعة خارقة، تدفع عربتها نحوه، تنقض بالفأس على رأسه، تندّ من الشخص صرخة قوية.. اخ..) اخ؟ اخ فقط؟ خذ المزيد ايها النذل.. مت ايها الوغد.. (يسقط الشخص على الباب فيفتح، تقفز سحر من فراشها.. نحو الباب)

سحر: اه.. يا الهي.. رررشيد.. ررشيد.. (ترتمي فوقه)

العجوز: رررشيد.. إ.. إ.. إ.. بني؟ (تنهض واقفة على قدميها. تسقط فوق الجثة)

سحر: اه.. ايتها التعيسة..